سلسلة مختارات الدار المنهجية 7

بمن أقتدي؟

Including pattern

إعداد
فضيلة الشيخ
صالح بن سعد السحيمي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة والمدرس بالمسجد النبوي

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع
دار الهداية

سلسلة مختارات الدار المنهجية 7
بمن أقتدي؟
Including pattern
إعداد
فضيلة الشيخ
صالح بن سعد السحيمي

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع
دار الهداية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ١٣٥٥ / ٢٠١٠

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٨٣٦٢٠٨٦٤
dar-elatharia@yahoo.fr - dar_elatharia1@hotmail.com

دار الهداية

مساكن عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٩١٠١٥٥٦
HASSANANAS78@YAHOO.COM

بمن أقتدي؟

إعداد
فضيلة الشيخ
صالح بن سعد السحيمي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة والمدرس بالمسجد النبوي

دار الهداية

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

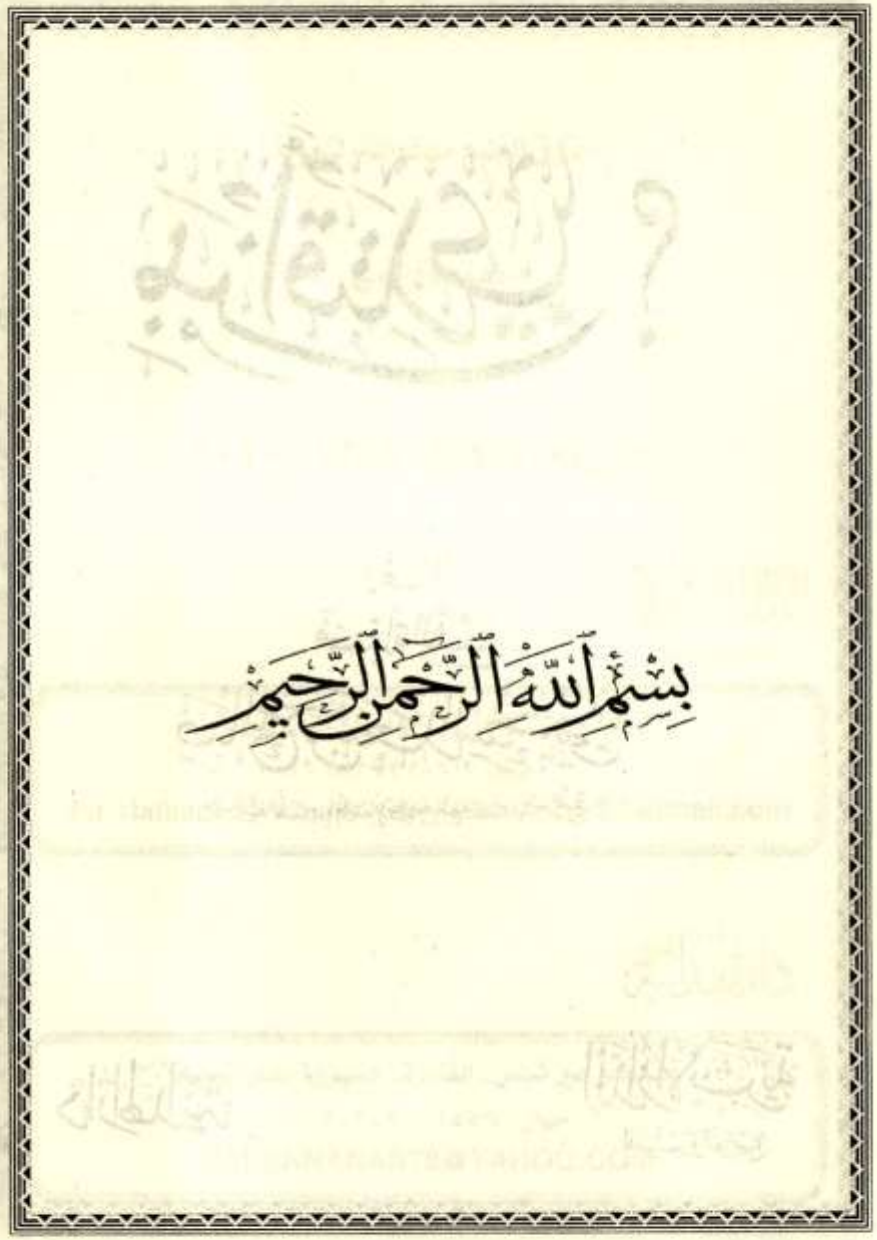

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه..

وبعد:

فقد كثر القيل والقال، وكثر السؤال عن الجماعات التي تنتسب إلىٰ الدعوة الإسلامية في هذا العصر، وذلك لكثرتها وتباين مناهجها واختلاف مشاربها، الأمر الذي فرق شمل المسلمين وجعلهم شيعًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد أصبح المسلمون يتساءلون من يتبعون وبمن يقتدون في خضم هذه الجماعات المتناقضة، التي بلبلت أفكارهم ومزقت كيانهم وفرقت كلمتهم، وحالت

بينهم وبين السير على منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله تعالى.

ونقول: إن تعدد هذه الجماعات ناتج عن اختلاف عظيم في الأسس والمبادئ التي قامت عليها تلك الجماعات، وإن تعدد الأحزاب في أي مجتمع يعني أن هناك أمورًا اجتماعية تتعارض فيها وجهات النظر وتختلف فيها الآراء، بحيث لا يمكن الوصول إلى نقطة يقتنع بها الجميع، بل إن ما يراه أحد الأحزاب خيرًا يراه الآخر شرًّا، وما يراه أحدها سعادة يراه الآخر شقاء.

ومن هنا نقول أيضًا: إن الإسلام يمقت جميع الروابط التي تقوم على أحلاف حزبية أو طائفية مهما ادعى أصحاب تلك الأحلاف من حسن النية وسمو المقصد؛ فقد ربط الإسلام المسلمين برابطة عظيمة بحيث لا يمكن لأي

تنظيم وضعي مهما حصل له من القوة والدقة أن يصل إلى مثلها، وإن العلاقة أو الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء في الإسلام، فالمسلم ولي المسلم سواء عرفه أو لم يعرفه؛ بل ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيمًا آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساسًا للولاء والبراء، لأن هذا النوع من التنظيم يقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة وغيرها من الحقوق، مع أن الإسلام أعطى المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلمًا لا لسبب آخر.

وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «**لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة**». وذلك لأن الإسلام لما قضى على جميع المواد التي كانت أساس الولاء

والبراء في الجاهلية، وجعل الإسلام نفسه مادة الولاء والبراء، وجعل جميع المسلمين سواسية في الحقوق، لم يبق عنده مجال لتعدد الجماعات والتكتلات المتفرقة، بحيث لا يكون لإحداها حقوق وعلاقات بالأخرىٰ حتىٰ يحتاج إلىٰ عقد التحالف بينهما.

والجهل بمقاصد الشريعة يقتضي وجود شعب من الآراء مختلفة، وسبل متفرقة، فإذا اتبع كل أناس سبيلاً تفرقوا، ولو كانوا علىٰ سبيل واحد لما تفرقوا، لأن الإسلام واحد وأمره واحد، فاقتضىٰ أن يكون حكمه الائتلاف التام لا الاختلاف، وهذه الفرقة المشعرة بتفرق القلوب مشعرة بالعدواة والبغضاء، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

فبين أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف علىٰ التعليق بمعنىٰ واحد، وهذه الجماعات المتعددة لو كان ما تدعيه صحيحًا من أنها جميعًا علىٰ الكتاب والسنة لما تفرقت لأن الحق واحد، لا ثاني له وتعددهم هذا دليل قاطع علىٰ اختلافهم، واختلافهم ناتج عن تعلق كل فرقة بحبل غير حبل الأخرىٰ، حينئذٍ لابد من الاختلاف والتفرق والتدابر.

وإن المتتبع لهذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر وما هي عليه من مناهج يمكنه أن يخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: اتفاق هذه الجماعات علىٰ إهمال الدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة بدعوىٰ أن هذا المسلك يفرق الأمة، وكأن الدعوة إلىٰ العقيدة هي سبب تفرق الأمة، وذلك يخالف المنهج الذي جاء به النبي ﷺ، وسار عليه أصحابه من بعده، وكذلك من تبعهم بإحسان.

ثانيًا: الجهل المطبق بأحكام الشرع لدىٰ هذه الجماعات؛ بل يصل إلىٰ حد الجهل بأبسط قواعد الإسلام.

ثالثًا: إضفاء هالة من المديح والثناء علىٰ زعماء تلك الجماعات حتىٰ ولو كانوا جهالاً أو ليسوا طلبة علم فضلاً عن أن يكونوا من الراسخين فيه.

رابعًا: إيهام الجاهل بأنه عالم ومؤهل للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ محتجين بقول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**». ولكنهم ينسون، أو يتناسون قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث نفسه: «...**ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

ولا شك أن الحديث صحيح وأن كل مسلم عليه واجب أن يبلغ ما علم علىٰ نحو ما أسلفنا، لكن بعد أن يكون مؤهلاً، لأن يكون ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وحفظها وبلغها**».

والتبليغ: هو تعليم ما يعلمه الشخص من العلم الشرعي والإرشاد إليه هو غير الدعوة إلىٰ الله بمفهومها الواسع العام؛ فهذا إنما يكون لأهل العلم والفقه والبصيرة، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1].

وأما أن يتصور أحد أن مجرد الانتساب إلىٰ الجماعات والبيعات ومباشرة طقوسها كالخروج والسياحة في الأرض وإلقاء البيانات التي لا تعدو أن تكون حشوًا من القصص الخيالية والرؤىٰ المنامية -والكرامات المدعاة- علىٰ طريقة الصوفية، والتهييج السياسي ضد السلطة، والحكام، وتقديس المناهج الحزبية المبتدعة، ورموزها من الأشخاص.

تلك المظاهر التي يضلون بها العامة، ويبهرجون بها

---

(١) سورة يوسف، آية:١٠٨.

على ضعاف الإيمان والجهلة؛ هذا بلا شك تصور خاطئ؛ بل هو جهل فاضح وزلل فادح لا يمكن أن يصدر من ذي بصيرة وعلم وعقل راجح.

خامسًا: الخلط بين السنن والبدع واختفاء معالم السنن لدى هذه الجماعات، بل وجود هذا التحزب والانتماء إلى الجماعات بدعة لا سابقة له في الإسلام.

سادسًا: استقطاب كل الفرق التي تدعي الإسلام وانضواؤها تحت لواء تلك الجماعات بدون تمييز بين سني ورافضي وباطني وصوفي غالٍ فهم كحاطب ليل يجمع ما هب ودب فهو يحطب العقرب والحية مع العود والخشب.

هذا غيض من فيض مما يعد قاسمًا مشتركًا بين الجماعات الحزبية.

وأقول: إن على هذه الفرق أو الجماعات الإسلامية

الدعوية -كما تسمي نفسها- أن تدخل في جماعة الحق: جماعة المسلمين الواحدة.

وأن تأخذ بالمنهج الحق الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ وهو الانطلاق في الدعوة من الأساس المتين والركن الركين، ألا وهو توحيد الله الخالص، والخالي من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وإن أية دعوة تبنى على غير هذا الأساس فمصيرها إلى الفشل الذريع لا محالة.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

جاء في كتاب: «**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**»، لشيخنا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن

(١) سورة التوبة، آية:١٠٩.

هادي مدخلي: «...عرفنا مما مضىٰ منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ التوحيد ومحاربة الشرك وأسبابه، وأنه منهج قائم علىٰ العقل والحكمة والفطرة، وعرفنا أدلة ذلك جملة وتفصيلاً، من نصوص الكتاب والسنة، ومن الناحية العقلية؛ فلا يجوز للدعاة إلىٰ الله في أي عصر من العصور لا شرعًا ولا عقلاً العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، واختيار سواه:

أولاً: أن هذا الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم.

والله واضع هذه المنهج هو خالق الإنسان والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

وهو الحكيم العليم في خلقه وشرعه، وقد شرع

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانيًا: أن الأنبياء قد التزموه وطبقوه، مما يدل دلالة واضحة أنه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد:

١- نبيًا افتتح دعوته بالتصوف.

٢- وآخر بالفلسفة والكلام.

٣- وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجًا واحدًا، واهتمامهم واحد، بتوحيد الله أولاً وفي الدرجة الأولىٰ.

ثالثًا: أن الله قد أوجب علىٰ رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، ويسلك منهجهم، فقال بعد أن ذكر ثمانية عشر منهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

وقد اقتدىٰ بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به.

رابعًا: ولما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- زاد الله الأمر تأكيدًا، فأمر نبينا محمدًا ﷺ باتباع منهجه فقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

والأمر باتباعه يشمل الأخذ بملته التي هي التوحيد ومحاربة الشرك ويشمل سلوك منهجه في البدء بالدعوة إلىٰ التوحيد، وزاد الله تعالىٰ الأمر تأكيدًا أيضًا، فأمر أمة محمد ﷺ باتباع ملة هذا النبي الحنيف، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

(١) سورة النحل آية:١٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية:٩٥.

إذن؛ فالأمة الإسلامية مأمورة باتباع ملته، فكما لا يجوز مخالفة ملته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلىٰ التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامسًا: قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

فإذا رجعنا إلىٰ القرآن أخبرنا أن كل الرسل كانت عقيدتهم عقيدة التوحيد وأن دعوتهم كانت تبدأ بالتوحيد وأن التوحيد أهم وأعظم ما جاءوا به.

ووجدنا أن الله قد أمر نبينا باتباعهم وسلوك منهاجهم، وإذا رجعنا إلىٰ الرسول وجدنا أن دعوته من بدايتها إلىٰ نهايتها كانت اهتمامًا بالتوحيد ومحاربة للشرك ومظاهره وأسبابه.

وما دمنا بصدد الكلام عن تعدد الجماعات وضررها

(١) سورة النساء، آية:٥٩.

على الإسلام والمسلمين فإني أنقل لك أخي القارئ ما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «حلية طالب العلم»، بعنوان: لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها، فإنه كلام مفيد ما عليه من مزيد، قال -وفقه الله-:

«أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام، فيا طالب العلم -بارك الله فيك وفي علمك- اطلب العلم، واطلب العمل وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف، ولا تكن خراجًا ولاجًا في الجماعات فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، و«**إن يد الله مع الجماعة**»، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

وأعيذك بالله أن تتصدع فتكون نهابًا بين الفرق

والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم، وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر -رحمك الله- أحزابًا وطوائف طاف طائفها ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرًا، وتفرقه هدرًا، إلا من رحمه ربك فصار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم».

وقال شيخنا فضيلة الشيخ الدكتور: محمد أمان بن علي

الجامي، في كتابه: «**مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث**»:

«توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلىٰ الله، ولكنها في الغالب تتخبط علىٰ غير بصيرة، فالواجب علىٰ دعاة الحق أن يكونوا علىٰ بصيرة فاهمين ما يدعون إليه ومتصورين له ومؤمنين به، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

هاتان صفتان لأتباع محمد -عليه الصلاة والسلام-:

الصفة الأولىٰ: القيام بواجب الدعوة.

الصفة الثانية: أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة.

البصيرة: هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلىٰ الناس دون تملق ولا نفاق».

وبعد أن أشار الشيخ إلىٰ التنافر العظيم الواقع فيما بين تلك الجماعات، وذكر أنها هي بحاجة إلىٰ دعوة وتبصير، وتأهيل للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، قال -حفظه الله-:

«وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية وهي ذاتها محنة من المحن ومشكلة من المشكلات للدعوة والدعاة معًا إذا هي بقيت علىٰ وضعها ولم تُعِدِ النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها فخطرها علىٰ الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها، فعلىٰ هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا والذين انتشر

الإسلام بدعوتهم؛ بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة ويسيروا سيرتهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب لدعوة أي نجاح أو أي تقدم؛ لأنه عمل لم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح.

نعم قد ينطلي هذا الأسلوب على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتهم لكثرة لمعان الأسلوب ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح والتوفيق فعليهم أن يراقبوا الله وحده لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان».

وما دمنا بصدد الكلام على بدعة التحزب والانتماءات وكثرة الجماعات المختلفة في مناهجها والمتنافرة في أساليبها،

فيناسب هنا ذكر كلام نفيس لابن القيم -رحمه الله- إذا نظر فيه القارئ أحس وكأن ابن القيم -رحمه الله- يعايش هذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر حيث يقول عند كلامه على علامة أهل العبودية: «العلامة الثانية: قول: (ولم ينسبوا إلى اسم) أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق وأيضًا: فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة، فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي

اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه؟ قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوىٰ، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[1].

وعن نسبه؟ قال:

أبـي الإسـلام لا أب لي سواه ... إذا افتخـروا بقـيس أو تَمـيم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء وترعىٰ الشجر حتىٰ تلقىٰ ربها.

وا حـسرتاه تقـضّىٰ العمـر ... سـاعاته بـين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلىٰ علىٰ مهل

(١) سورة النور، آية: ٣٦، ٣٧.

ويستطرد ابن القيم إلىٰ أن يقول: «وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوىٰ السنة.

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها، فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلىٰ منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلىٰ غيره، وإن كان أقرب إلىٰ الله ورسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلىٰ، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل فترىٰ أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعًا له عن الطريق

فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولاً وشرًّا، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك: أخرجوه من بينهم، وعدوه غيرًا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة».

ويعني الإمام ابن القيم بقوله: «وقد سئل بعض الإئمة عن السنة فقال: ما لا اسم له سوىٰ السنة»: ما نقله القاضي عياض عن الإمام مالك حيث قال: «وسأل رجل مالكًا: من أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري». وما جاء في معناه من أقوال السلف.

فالالتزام إنما يكون دائمًا وأبدًا بالمنهج الإسلامي... بالفكرة... بما شرعه الله لنا، وليس الالتزام بالأشخاص، أو التنظيمات، أو الجماعات، التي هي محل للخطأ والخلل

والأمراض والعلل ومنها: تتسلل الأدواء والانحرافات إلىٰ الحياة الإسلامية.

ومن ثم تكون العصمة الكاذبة التي تخلع علىٰ بعض الأشخاص والمبررات المضحكة التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم، وهذا بدء مرحلة السقوط، حيث تبدأ عملية تخديم الأهداف والقيم لا خدمتها، أو تستبد بهم حالات اليأس، أو تمارس عمليات الإرهاب الفكري، أو الفساد السياسي، فتفصل الأحكام علىٰ الأشخاص، وتوصل الحيل الشرعية حتىٰ يصبح لها مؤلفات، وتؤول الأحاديث والآيات علىٰ مقتضىٰ الأهواء.

ولا يجوز أن يظن أحد أن الدعوة إلىٰ التزام المنهج مقياسًا وميزانًا للحق والباطل، وعدم الالتزام بالأشخاص الذين يخطئون ويصيبون: ارتداد إلىٰ الفردية، وبعثرة للجهود،

وابتعاد عن جماعة المسلمين كافة، فهذا ليس من الأمور الاختيارية بالنسبة للمسلم، وإنما هو في حقيقته تصويب لمسيرة حياة المسلمين الجماعية، وإلغاء للإقطاعات البشرية من حياة الناس، والتزام بالإسلام الذي بينه رسول الله ﷺ بقوله: «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وافترقا عليه**».

فالاجتماع على المنهج، وليس على الأشخاص، والافتراق أيضًا على المنهج، وليس على الأشخاص، إلا في حالة العمى العقلي، وعدم الإبصار الصحيح، بسبب التعصب لفئة، أو شخص، أو عرق، أو قوم، أو في حالة عدم وجود العزمة الأكيدة على الالتزام بهذا الدين».

وإن مما يجب التنبيه إليه: أن هذه الجماعات الحزبية ترى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفرق صفوف الأمة ويمزق كيانها وهذا قول فيه مغالطة خطيرة وتناقض عجيب،

فإن من أعظم وسائل نشر الدين، وظهور الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عجبًا لهذا القول، إن قائله يشبه من يقول: الماء لا يروي والطعام لا يشبع.

وخلاصة القول: إنه من فساد النظر الاعتقاد بأن عملية النقد، والمناصحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحدث تشويشًا في الصف الإسلامي، واضطرابًا في العمل.

ذلك أن الصف، أو الجماعة التي تخشى من الحوار، وتخاف من المناصحة، ويلبس الشيطان على بعض أفرادها بأن الأمر بالمعروف، ومحاربة المنكر يهدد كيانها، جماعة لا يوثق بها، ولا تستحق البقاء، ولا تستأهل حمل رسالة الإسلام التي من أولى متطلباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففاقد الشيء لا يعطيه.

إن مطاردة عمليات المناصحة، ومحاصرتها، والقضاء

عليها، تنطوي على خطورة كبيرة، تؤدي بأصل القضية في سبيل استبقاء الصورة الشكلية للعمل والدعوة، حيث تنقلب الوسيلة -التعاون في إطار الجماعة للوصول إلى قدر أكبر من الخير- غاية بحد ذاتها.

إن التسلط الفردي والإرهاب الفكري الذي يقع فيه أحيانًا بعض العاملين للإسلام -عندما يغيب عن ساحة العمل البعد الإيماني الغيبي، وما يقتضيه من خفض الجناح، ولين الجانب، والخلق الكريم- يؤدي إلى لون من التشرذم، وضرب من الطائفيات الجديدة، تتمزق معها رقعة التفكير، وتنمو الجزئيات وتغيب الكليات ويضطرب سلم الأولويات ويضيع تصنيف المشكلات ويتوقف العمل المنتج، وتنقلب الوسائل إلى غايات -كما أسلفنا- وتتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص لا تُرى القضية الإسلامية إلا من خلالهم،

وينقلب جهد العمل إلى صناعة المبررات، وتتغلب عملية صناعة التبرير على عقلية دراسة أسباب التقصير، ولا تعالج هذه القضية إلا من خلال ممارسة الحرية الفكرية، والحوار الشامل، والتزام أدب الخلاف الإسلامي، وجعل المشروعية للمبادئ والأفكار، وليس للوسائل والأشخاص.

إن العقيدة مقرها القلب، ولا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الدليل، والقناعة بالشيء هي الدافع لممارسته، والله تعالى خاطب النبي ﷺ بأن الغاية من ابتعاثه إلحاق الرحمة بالعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٖ﴾[2].

وقال مخاطبًا نبيه أيضًا: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ

(١) سورة الأنبياء، آية:١٠٧.

(٢) سورة الغاشية، آية:٢٢.

مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

وهذه من الأبجديات الأولىٰ في الدعوة إلىٰ الله، وإلحاق الرحمة بالعالمين.

ومن ثَمَّ فإن هذه الدعوات المعاصرة التي تنطلق في دعوتها من منطلق حزبي ضيق قد بَعُدَ بها ذلك كثيرًا عن منهج السلف الصالح؛ إذ إن هذه الجماعات لم تؤسس بناء دعوتها علىٰ توحيد الباري -جل وعلا-، وعلىٰ العقيدة السلفية الصافية من الشوائب -كما أسلفنا- ومن تأثر بتلك الدعوات -إن كان من أهل العقيدة أصلاً- لا يكون ولاؤه لها، ولا يكون فكره متفقًا معها بسبب سيطرة هذه المناهج علىٰ أفكاره حتىٰ ماتت العقيدة في نفسه فأصبح لا يدعو

(١) سورة يونس، آية:٩٩.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٥٩.

إليها، وإن كان يعتقدها، لكنه بَعُدَ عنها تحت تأثير المنهج الحزبي لأنه يوالي ويعادي علىٰ ذلك الفكر الضيق الذي بُني علىٰ غير أسس سليمة فلا يكون للعقيدة مكان ولا مجال في التطبيق العملي ولا تعطي ثمراتها الطيبة اليانعة، فهي لا تفيد معتقدها لأنها قد فقدت روحها فأصبحت بلا روح، كالجذوة التي استترت وانغمرت تحت الرماد.

وخطورة هذا الأمر لا تقل عن خطورة الجهل بالعقيدة، فإن من يعرف العقيدة ولا يدعو إليها كالجاهل بها سواء بسواء بل أسوأ حالاً ومآلاً، فعلينا أن نأخذ الإسلام علىٰ أنه عقيدة وشريعة، دين ودولة، وحدة متكاملة، كما أكمله الله وأحسنه لتتم علينا به النعمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

(١) سورة المائدة، آية:٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1].

إنه لا صلاح لنا، ولا فلاح، ولا نجاح لدعوتنا أيضًا، إلا إذا بدأنا بالأهم قبل المهم، وذلك بأن ننطلق في دعوتنا من عقيدة التوحيد، نبني عليها سياستنا، وأحكامنا، وأخلاقنا، وآدابنا، ننطلق في كل ذلك من هدي الكتاب والسنة، بلا إفراط، ولا تفريط، ذلكم هو الصراط المستقيم، والمنهج القويم، الذي أمرنا الله تعالىٰ بسلوكه، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[3].

وقال رسول الهدىٰ ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا**

(١) سورة البقرة، آية:٢٠٨.

(٢) سورة الأنعام، آية:١٥٣.

(٣) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي».

ويقول الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

هذا وإنه قد كتب الكثير من أهل العلم في بيان المنهج الصحيح الذي يتعين علىٰ المسلم سلوكه والتحذير من تلك الجماعات المتنافرة، ولقد كان لأخينا فضيلة الشيخ: سعد بن عبد الرحمن الحصين إسهام جيد مشكور في تجلية هذه الحقيقة فقد اطلعت علىٰ كتابه الذي سماه: «**حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وما اختصت به جزيرة العرب، وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها**».

وقد قرأته من أوله إلىٰ آخره فألفيته كتابًا نافعًا جيدًا وضع فيه النقاط علىٰ الحروف حيال موقف المسلم من جماعة التبليغ وجماعة أو حزب الإخوان المسلمين، واللذين

لها انتشار واسع في هذا العصر.

الأولى: صوفية، نقشبندية، سهروردية، قادرية، جشتية، تنتهي بأصحابها إلى البيعة على هذه الطريقة الرباعية، وتحريف نصوص القرآن والسنة لاسيما ما يتعلق منها بالجهاد: فقد حملوها على مجاهدة النفس في الدعوة التبليغية والخروج التبليغي، والأسفار والسياحة التبليغية المبتدعة في الدين، ناهيك عما لديها من بدع أخرى وجهل مطبق بأبسط قواعد الإسلام والتنفير من العقيدة وأهلها والتحذير من العلم والعلماء والعمل للكسب بدعوى أن ذلك مشغلة عن الدعوة إلى الله، وهم يجهلون الأسس والأولويات التي لابد من معرفتها قبل القيام بالدعوة.

والثانية: صوفية: حصافية، سياسية، فكرية، تهتم بالمظهر ولو على حساب خراب المخبر، وتجمع في صفوفها من هب

ودب فينتمي إليها السني، والصوفي، والرافضي بدعوى: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

ولقد أجاد الشيخ سعد -وفقه الله- في بيان حقيقة هاتين الجماعتين فهو يتكلم عن خبرة وعلم من واقع معايشته لهما واختلاطه بالخاصة والعامة من أتباعهما بحكم عمله وتخصصه في الدعوة إلى الله، إضافة إلى شهادات العدول على عوارهما وما تشتمل عليه كتب القوم مما يجل عن الحصر من الملاحظات والمؤاخذات، وبعد أن بين مناهج هاتين الجماعتين ختم هذا البحث القيم بنصيحة ثمينة لهما ولغيرهما من الفرق والجماعات والأحزاب بالعودة إلى المنهج الحق المستمد من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة إذ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وهذه العودة لا تتحقق إلا بالبدء بما بدأ الله به، وما بعث الله به رسله -عليهم الصلاة والسلام-، وهو تحقيق توحيد الله -تبارك وتعالىٰ- وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والأخذ بأمور الإسلام كلها عقيدة وعبادة وسلوكًا، إذ الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، وقد أوضح الشيخ -أثابه الله- جملة مما مَنَّ الله تعالىٰ به علىٰ أهل هذه الجزيرة ذلك من قيام دولتها علىٰ تحكيم شرع الله، وإقامة حدوده بعد إقامة توحيده، والعبودية الخالصة له ﷻ وحده، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله علىٰ منهج النبوة.

ومن خلو أرضها من: التماثيل، والنصب، والأوثان، والأضرحة، والمقامات، والمشاهد، والمزارات، ومن كل رمز يصرف له شيء من العبادة، والتعظيم مع الله، ومن كل

ما يصرف عن عبادة الله.

وخلوها أيضًا من فشو البدع علىٰ اختلافها.. إلخ ما ميزها الله تعالىٰ به فضل منه تعالىٰ يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هذا مع ما ميزها به من اتخاذ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله شعارًا ورمزًا لها، مرفوعًا لا ينكس وعزيزًا لا يخفض.

إلىٰ ما شرفها به من وجود المقدسات فيها، والقيام بحماية وخدمة بيت الله الحرام، ومسجد رسوله -عليه الصلاة والسلام- والحدب علىٰ المسلمين في كل مكان ومناصرة قضاياهم، زادها الله شرفًا ورفعة، وسدادًا وتوفيقًا ورزقنا شكر نعمته وحسن عبادته.

فالواجب علىٰ جميع المسلمين لاسيما الدعاة إلىٰ الله

الأخذ بهذه النصيحة، والعمل بها والعض عليها بالنواجذ إلىٰ أن نلقىٰ الله ﷻ.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أملاه الفقير إلىٰ ربه

صالح بن سعد السحيمي